

ذكريات مسجدية

د. حمزة بن فايق الفتحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

■ (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا

أَنْ هَدَيْنَا اللَّهُ). [الأعراف ٤٣]

■ (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا

يَجْمَعُونَ) [يونس ٥٨]

■ (وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ). [الذاريات-٥٥]

■ (إذا تكدرت من الواقع المرير، فعش لذاذة الذكريات

العطرة).

■ (بعض ذكرياتنا أفضل من كل ما يمكن أن يحدث لنا

ثانية).

إيه أحاديث نَعْمَانٍ وساكِنِهِ ** إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ

وتبسّمت تلك الشفاهُ وغالها ** بحرُ السعادةِ غامرٌ وخصيبُ

فهرس الموضوعات

١	فهرس الموضوعات.....
٣	المدخل.....
٧	١ / الطلةُ الجميلة!.....
٩	٢ / المصلي الصموت...!.....
١١	٣ / صوتُ الليل!.....
١٤	٤ / الصلاة يا " غافلين " ...!.....
١٦	٥ / الحلقة النورانية...!.....
١٨	٦ / انتصارُ العلم!.....
٢١	٧ / قبل ثلاثين سنة!.....
٢٣	٨ / المصلي الراعي...!.....
٢٥	٩ / جامع الفهد والصعب السهل...!.....
٢٩	١٠ / زاد المعاد!.....
٣٣	١١ / أعراقُ متعارفة!.....
٣٦	١٢ / سطحُ المسجد...!.....
٣٩	١٣ / التربة الأبهوية...!.....
٤٢	١٤ / رمضانياتُ جامع العنود...!.....

- ١٥ / المعايدة المنعشة...! ٤٥
- ١٦ / ربما تختم كتباً...! ٤٨
- ١٧ / لصيقُ الإِشراق...! ٥١
- ١٨ / العجوزُ المواظب...! ٥٤
- ١٩ / الداعيةُ المؤازر...! ٥٧
- ٢٠ / رفقةٌ مباركة...! ٥٩
- ٢١ / الصَّوتُ الحسن...! ٦١
- ٢٢ / جامعةُ الأجناس...! ٦٣
- ٢٣ / قُرْناءُ العلم...! ٦٦
- ٢٤ / عبْقُ حيِّ الوردتين...! ٦٩

المدخل

الحمدُ لله الذي علّم وألهمَ، والذي فهمَ وأكرمَ، والذي لولاه لما
خط القلم، ولا استطاع اللسان أن يتكلم، والصلاة والسلام على
أشرف الخلق، محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان أفصح
الخلق كلاماً، وأبينهم خطاباً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أجمعين.

أما بعد :

تذكرتُ أياماً حساناً كواملاً ** وساعاتٍ كان السعدُ فيها مُخالِلاً
تذكرتُ أنساماً وطيباً ومعشراً ** يودونَ ذكراً زاهراً وشمائلاً
فتروقُ للقلمِ الدعوي أحاديثُ الذكرياتِ ، وقصصُ الأطلالِ ،
وينابيعُ مستحسنات الأخبار والطرائفِ ، ولذلك قيض اللهُ للقلمِ
قدرةً مباركةً سجلت شيئاً من ذلك في ثلاثة كتبٍ سابقة، كانت

بمثابة تاريخ دعوي عايشه صاحبه، واستطعم حسنه
وجماله، تمثلت في: "الذاكرة الدعوية، والشوق أغلب. وفؤاد
شيق".

واشتاقت اليراعة هنا لتسجيل "ذكريات مسجدية" تُقص للعبرة
والانتفاع، وتُحكى للذكرى والاعتبار، لنُري أنفسنا عظمة
المساجد، وجميل ما أُورث فيها من بركات ومحاسن، وما نتج
عنها من دروس ومعالم!.. وما كان للعقل اللماح تفويت مثل
ذلك!..

ولذا يجد نفسه مشدودا للذكريات الحسنة، ويحاول ترسيخها
وليس إهمالها، ويعمل على التفكير فيها والاستفادة منها
للحاضر الجديد، والمستقبل الواعد.

وفي الجامع المرموق حُسنٌ ومتعةٌ * * * وكلُّ جلالٍ يجعلُ القلبَ نائلا

سُررتُ به أعوامَ كنا نُؤمُّه * * * وذقنا به نورًا وإفًا مواصلا

ولذلك لما كانت بمثابة الغذاء الروحي ، قيدها لنفسه ، ثم لعموم

المحبين لهذا النوع من التأليف الدعوي ، علَّ الله أن يكتب فيها

القبول وحسن الانتفاع .

وهنا الجولات ستجول في المساجد في صفوفها وبين

أسطواناتها ، وفي مضامين رياحينها ومزاهرها ، تقيد أعبق

الذكريات ، وأجمل المواقف ، وأطيب اللحظات ، والتي نبت في

القلب نباتها ، وترعرعت في الروح إحياءاتها ، وما كان للقلم

تجاهلها أو تهملها ، فقد كان لزاما أن يحتفظ بها ، ويقوم على

سقايتها ولو بالرواية المرتجفة..! والمهم أن لا تغيب وتذبل ..

والله الموفق .

اللهم وفق وتقبل ، واهدنا سواء الصراط إنك جواد كريم .

محايل عسير

١٥ شعبان ١٤٤٣ هـ

١ / الطلة الجميلة..!

■ ذو طلةٍ حسناء غراء، يذكرُك بالصلحاء الأوائل، سمتاً وطيباً
... على يسار الصف الأول محفوفاً بزهرته، وارفاً بوقاره،
وهادئاً بجماله، لا يكاد يكلمُ أحداً، قد وضع الدنيا خلفَ
ظهره، وأحاديث الناس بعيدةً عن مناه، لا تفوته صلاة، ولا
يتخلف عن فريضة، ذا وقارٍ ووجه متهلل... قد أشرق بنور
الإيمان والصلاة، وازدان بسمت الخيار والفضلاء...!
مشرقُ الوجه، مخضب بالحناء...

■ دخل مرةً وقد فرغنا من الصلاة، فانزعج وجهه، وتكدّر
خاطره، وصاح مغضباً كيف صليتم...؟! وكأن الجماعة
استعجلوا في الإقامة، وصلوا سريعاً...! وتذكرتُ هذا المنظر
بعد أكثر من ثلاثين سنةً، فهزني، وترحمت عليه وذكرته

لبعض قرابته ، فحفزني لتقييد ذلك في روض الذكريات
المسجدية ، والتي تنشط الهمم، وتشحذ العزمات، وتنزل
على الفؤاد بحلوها وبدفئها...!

■ ومن عجبٍ صلاح هذا الرجل .. لم أره مجادلاً لأحد، ولا
مخاصماً معه، ولا يكاد يُرى في بقالات حي الربوع آنذاك،
وخروجه قليلاً ، قد ادخر صحته للمسجد والصلاة، عند ابن
أخته الشيخ علي في الجامع .. ومعروف بتواضعه ولطفه ،
وكم جرت في في مسجدنا من جدالات ومشاورات لا يعرج
عليها ولا يلتفت لها، إنه الوالد الشيخ أحمد بن جعفر رحمه
الله...! حيي الرجال الألى أخبار معدنهم ... في طلعة
قد زهت حسنا وأعمال...

٢٠ المصلي الصموت...!

■ هادئ ذو وقارٍ عجيب، ولطفٍ نادر، لا تدري متى يتكلم ، لا يكاد يعرفُ إلا بصمته وهدوئه، وكلماته معدودة، وألفاظه لا تذكر ، وليس له صرخات ولا لزمات كما يقال...! رغم أن المناوشات منه دانية، والخصومات قريبة...! ولكن متعه الله بحفظ اللسان ، وصيانة الجنان ، فحبس لسانه ، وأخفى جِناحه، وأتم بنيانه....!

■ وهو جارٍ للمسجد ، وحوله مشكلات وبلبات، ولكن يكظمها ويدفنها ما استطاع ، لا تهزه المحن، ولا تستخفه المشاحنات، صبور قانعٌ مخموم...! وفي الحديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الناس أفضل؟ قال:

كُلُّ مخموم القلب صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان
نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه،
ولا بغي ولا غِلَّ ولا حسد»!..

■ وفي يوم عيد رأوني وأنا فتى متجهٌ لمصلى العيد في البلد ولا
سيارات .. وكان معهم صهرهم فنزل من الأمام وأقسم إلا
أركبَ أمامه ، إكراما للشباب المتدين ، وإمامهم إذا تخلف
الإمامُ!.. فانبهرت من تلك الأخلاق ، وأي روحٍ يحمل
ذلك الشيخ .. إنه العمّ محمد رحمه الله .. حُمدت خصاله،
وطابت شمائله ، وذاعت أُلطافه...!

٣ / صوت الليل..!

■ يرتجُ آخرُ الليلُ من جِراءِ جَلْبَتِه، وذكْرُه الصّداح ، وهو يفتح الجامع في هدوء من الناس ، وقد قَدِمَ وهو يهمل ويسبح ...! صوته صاخب ، وتعامله شديد، وغيرته عالية ...! كان عاملاً للمسجد ، ولكنه يقوم بالأذان فجراً كلَّ يوم... وعلى مدار الفترة الجامعية لا أعرفُ سواه في أذان الفجر رحمه الله كان يوقظني أحيانا ، ثم نصلي بهم...! يرددُ غالبَ "سور عمّ" كل يوم... وسألته يا عم علي : كيف حفظتها فسمى عجوزاً كبيراً أظن اسمه محمد. لم أدركه، وقد تلقاها من فيه يرددها، حتى حفظها...! وذلك في حي الربوع بمحايل .

■ ومع شدته في التعامل مع الناس إلا أنه سريعُ الدمعة عظيمُ التأثير ، إذا ذُكرت المواعظ انساب، وأسماء الصحابة تبكيه ويطرضى عليهم... واسم الشيخِ ابن باز عنده مهيب، يتأثر بهم للغاية...!

■ نعتناه بصوت الليل... لأنه يأتي ليلاً من قرية المعش للأذان ، بساعة وفي الليل الطويل ربما ثلاث أو أربع ساعات...! يكنس ويرتبُ ويصلي ما كُتب له، ثم الأذان والصلاة، ويجلس معنا إلى الشروق ، ثم يوصينا بإغلاق المسجد...! وتخاصمنا معه كثيراً بسبب شدته ولم تخل من طرائف... هههه ، لكن غيرته الدينية جعلتنا نجله ونحتمل ما نلاقي منه، وتوثقت العلاقة معه، ويقصدنا كل جمعة وفي

الفجر...! ثم انتقلنا إلى حي آخر ، فاستاء من ذلك، وحاول
إرجاعنا ، ولكن الظروف الجديدة حالت دون ذلك..! وبعد
سنوات بلغني خبر وفاته وقد صلى الناس عليه وتألّمت ،
فذهبنا إلى قبره وصلينا عليه رحمه الله رحمةً واسعة.. !

□ ٤ / الصلاة يا " غافلين " ... !

■ في ضحوةٍ من النهار ساطعة، وصخب مائل إلى الهدوء ،
يتجلى صوت ينادي بالصلاة ونحن أطفال .. قبيل صلاة
الظهر ... : الصلاةُ يا غافلين ... الصلاة يا غافلين ... ! ينادي
لصلاة الظهر بكل همة وإشفاق ، فتنظر فيه فإذا هو شيخٌ
طويلُ القامة، متجعد الشكل ، عليه علامات الكبر، قد تحلى
شماغه وعقاله ... !

■ يعرفُ باسم الوالد أحمد أبو سلجم رحمه الله، من المعمّرين
في حينًا بل في محاييل كلّها .. منتهى الحكمة والخبرة ،
ويحظى بحب الجميع وتوقيرهم .. ! وكنا نسمع صوته من
أماكن بعيدة ، حيث الصوت الصداح ، وتقارب البيوت ،

وتردده اليومي... حتى يصل الجامع ، فإن حضر المؤذن ،

وإلا بادره وسبقه بالخير والذكر الجميل !..

■ ومن طرائفه: أنه كان يحسن بعض اللغة التركية، نراه في

الطرقات بالشخصية العربية المتدينة ، وهو يردد كلمات

أشبه ما تكون بالشعر ، فنقول : يا جد أحمد... تكلم تركي،

فيحاكيهم بطريقة تستدعي الضحك فنفرح بذلك ، ويسر

لبهجة الصغار...!

■ ممتلئٌ خلقاً وهدوءً، لا يكاد يُعرفُ بالصراخ ولا أذى لأحد ،

قد تجمل بالحلم والصبر والرزانة...! وعاشنا لسنوات قبل

وفاته، ثم اختفى صوته أظن سنة ١٤٠٧ هـ، ولم يتعال ذلك

الصوت الممتع.. فسألنا فقالوا مريض مقعد، ثم بلغنا نبأ

وفاته رحمه الله...!

□ ٥/ الحلقة النورانية...!

■ يبقى لصلاة الفجر نورها الروحاني ، وأنسامها الإيمانية المورقة ، وكانت محلّ اختبار الشاب تلك المدة، وجعله محل الانتقاد والتقصير ...! وفي بداية الاستقامة كنا نجتمع في جامع الملك عبد العزيز رحمه الله ، في حي الربوع، مع الأخ عبدالله، والشيخ حسين حسن حفظه الله ويحضرُ أصدقاء من أحياء عدة، فنجتمع على التلاوة ، في مأدبة إيمانيةٍ معشبة، تحفنا المسرات من كل مكان، وتغشانا الرحماتُ...! وحلقاتُ من الذكرى تسامت...تضوعُ بحُسنها زهر القلوبِ..!

■ كان إذاك في المرحلة الثانوية ولكنه لا ينسى حلاوتها ،
وأعطارها المنشورة في كلِّ مكان ، والبلمس الروحي الذي
تصنعه فيغمر النفوس ..! مصداق الحديث النبوي (وما
جلس قوم في بيت من بيوت الله).

■ وكان أكبرنا الموجه والمصحح، ولم تلد بعضُ الجمعيات
القرآنية في محايل ، والظافر من تعلم في المدن، أو أدمنَ
سماع أشرطة التلاوة كالحرمين وأشباهها، فنجلس إلى ما
بعد الشروق ، ثم ينهضُ الجميع لصلاة الضحى ، والسعد
يحفهم من كل مكان ، وزهراتُ الإيمان لا تكاد تنقطع عن
حياتهم ..! ولا يزالون يتذكرون ذلك ، والينبوع الخصيب
الذي تحدر عليهم فغصُّوا بحسنه وسيلانه، والحمدُ لله على
أفضاله ..!

٦ □ انتصار العلم..!

■ في فترةٍ من الفترات كان العلم ثقيلاً على الناس، ويضجرون من القراءة اليومية، ولسانُ حالهم تكفي الصلاة.. تكفي الصلاةُ..! ولكنَّ زمرةً من شباب محاييل المتدين، استنَّ كعادة مساجد المملكة القراءة اليومية، وبات رياضُ الصالحين صداحاً في المساجد، وفوائد من هنا وهناك، وتنسيق للمحاضرات وشيء من الكلمات ..! حتى انتصر العلمُ على الجهل، وغلبت الفائدةُ السخافة، وأحسَّوا بالهزيمة من كل مكان، وباتوا يجلسون كعامّة الناس والعمال...!

■ وما هي إلا مدةٌ حتى صارت القراءة اليومية سمةً غالب المساجد، ويعرف الإمام الجاد العاقل، بحُسن قراءته وتعاهده جماعة المسجد ..! وزادت بعض المساجد بقراءتين : عصرًا وعشاءً، وعمَّ الخيرُ والبركات ..! ولم يعد ذلك مستنكرًا...!

■ وحينما انتقلنا إلى حي الضرس سنة ١٤١٥هـ، وبدأت المساجد الجديدة تنتشر بفضل الله، ثم جهود بعض المحسنين كالشيخ القاضي عبدالله السحيباني حفظه الله ، صارت الدروس مألوفةً ، والقراءة مرغوبة، ويجلس الناس، ولا يتأفف العجالي منها..! ثم قلَّد مسجد التقوى سنة ١٤١٧، ومكث فيه نحو سبع سنوات إمامًا ، فعود جماعته

على قراءتين يوميًا ، لا تتجاوز الدقائق السريعات ، وإذا
حضر رمضان تضاعف النشاطُ، وتعممت الخيرات ، والله
الحمد والمنة...! والناسُ على ما عودتهم عليه...! ويستذكرُ
أن سبب بعضِ مؤلفاته من بركات الإمامة وتلك القراءة ،
التي ينتفع بها الأئمة قبل المأمومين ، والله الموفق .

□ ٧٠ قبل ثلاثين سنة ..!

- في محاضرةٍ لأخينا الشيخ الفاضل محمد بن عاطف الزيلعي في جامع الملك عبدالله رحمه الله، تقريبا سنة ١٤٣٥ هـ، قام أخوكم مرحبًا بالشيخ، ثم معلقًا ومستذكرًا نعمة الله علينا في هذه البلاد المباركة... وأن محائل قبل أكثر من ثلاثين سنة لم يكن فيها إلا جامعان للجمعة، وكنا نتزاحمُ فيها، وكم اصطلينا بحر الشمس ونحن أطفال!.. ثم اتسعت الخيراتُ وجادَ الفضلاء، وتنامى الوعي...! وذلك سنة ١٤٠٣ هـ..
- وأدركَ الجميعُ حاجتهم إلى المساجد، وتأسست الجوامع، وتنفسَ الناس، وغابَ التزاحم، وصارَ لأكثر الأحياء جوامعُ خاصة، وازدادت الكثافة السكانية، وصاحبَ ذلك

الانتشارُ الدعوي ، وأفانين من المحاضرات التي هذبت
وعلمت وشرحت، وكان لها عظيم الأثر في بلادنا
المباركة...!

■ يقول ذلك وهو ينظرُ الماضي ، ويلامسُ الحاضر ، وقد
تبدلت الأمور ، وامتنَّ الله بنعمٍ كثيرة ، كان من بركاتها تنامي
المساجد وازدهار الوعي الدعوي ، ونشوء حلقات تحفيظ
القرآن، مما أسهم في تكوين حس ديني راقٍ ، تكلل بعقل
جمعي متوافر في الخيرات ، لم يشذ فيه إلا القليل ...! والله
الحمد والمنة .

□ ٨ / المصلي الراعي...!

■ ما أعجب أن تشاهد المرء المتحسس التعب والمعاناة ، إذا
نودي للصلاة ترك شغله وغنمه وأقبل بكل متعة وجد...!
وفي مسجد التقوى بالضرس ، وفي شدة القيظ اللاهب ، كان
ثمة رجل يرعى الغنم قرب المسجد ، في الأراضي المعشبة
قليلاً ، وحينما يؤذن للعصر ، ينطلق متوضئاً بكل
اهتمام...!

■ صامتٌ يعلوه الهدوء ، ويُرَى عليه أثرُ العنت والشدة من
الوهج والأواء ..! ويجلس مستمعاً لدرس العصر ..! وقد
مكث على ذلك مدة ليس بالقليلة ، يرعى غنمه ظهيرةً ، ثم

يشهد الصلاة معنا... وهذه القصة عبرة لكل الشباب

المتقاعسين عن صلاة الجماعة...

■ ويعلمُ الله شدني منظره، وقد كنتُ أعودُ متأخراً من العمل

الجامعي، فأشاهد الحي خالياً، إلا من ذلك الراعي

المصلي...! رثَّ الهيئة، والعرقُ يتصبب، ثم هو أول

المبادرين إلى المسجد...! يذكرُ بحديث (ورجلٌ قلبه

معلقٌ بالمساجد). ولم يحلَّ تعبهُ ولا شغله عن شهود

الصلاة، والظفر بثوابها وعطائها...! وفي المقابل أناسٌ

أصحاء في أطراف الحي، ولا يكادون يشهدونها وإذا

حضروا، حضروا متأخرين، والله المستعان...!

٩/ جامع الفهد والصعب السهل □!

■ فرح الجميع حينما استنقذوا بجامعٍ مهيبٍ مباركٍ، سمي

جامع الفهد رحمه الله سنة ١٤١٨ هـ، على يد فضيلة الشيخ

عبدالله السحيباني حفظه الله، وغطى فراغاً دعويًا، وصنع

حضوراً علمياً بهيجاً، بقيادة الشيخ القاضي الدكتور

عبدالرحمن الصعب حفظه الله، الذي استُقضي عندنا في

محايل نحو عشر سنوات ...!

■ سنّها بالعلم والدعوة، والتوجيهات الرصينة، فهو قاضي

المحكمة، وداعية الجامع وفقهه وموجهه، فتح دروساً عدة،

واهتم بالعلم اهتماماً عظيماً، ويسر الله لنا معه جلسات في

فتح الباري والقواعد الفقهية ذكرت أظن في (الذاكرة

الدعوية. وفؤاد شيق. والشوقُ أغلب). وعادت علينا بحُسن

العاقبة.

■ وكان لمُكثِّه الطويل بركاتٌ وعوائد ، ليس أقلَّها تعميقُ شأن

العلم ، وحرَف البوصلة إلى معالي العلم، وأن دعوةً بلا فقه

وتعلم ، مصيرُها الاضمحلال والأخطاء الواسعة...! وقد

شرح في الزاد والنزهة والفرائض واللغة، وعلوم أخرى ،

ونفع اللهُ به في القيادة العلمية والقيادة الدعوية ورعاية

الجمعيات في بلادنا المباركة . وقد عاتبته على الانتقال

بقصيدة في حينها: يا أيها القاضي النبيل... ما أنت والنقلُ

الثقيل..

■ وقلت فيه لاحقاً ، وأنه ليس الصعب بل الفقيه الواعي

السهل...:

قالوا دنا الصعبُ قلتُ السَّهْلُ والبطلُ *** مُعَلِّمٌ فاضلٌ تعنوله السُّبُلُ

شيخٌ رفيعُ المدى حمّالُ ألويةٍ *** قاضٍ سماً العدا بالعدلِ مُمثّلُ

محدّثُ الفقه، مفهّامٌ له أثرٌ *** له الجهودُ العُلى والبذلُ والعَمَلُ

■ وقد تقلد العبدُ الفقير المَهْمَةَ بعد انتقاله، وكانت أمانةً

شديدة، وحملاً ثقيلاً ، يسرها اللهُ أربعَ سنوات، ثم آلَ الجامعُ

إلى أخينا الشيخِ جابر حفظه اللهُ، إمامةً ، وعادت الخطابة

للعبد الفقير ، واستُكملت بعض الجهود دعوةً وعلماً ، وقد

طُبِعَ بعضها في كُتُبٍ متداولة ، والحمدُ لله على إنعامه.. (وما

بكم من نعمة فمن الله) سورة النحل . والله الموفق .

■ وقبل سنة وقلتُ أخانا جابرًا بالخطابة أيضًا للتفرغ لبعض

لعلاج الابن سليل، ومراجعة بعض الكتب ، **والحمد لله الذي**

بنعمته الصالحات ... □

□ ١٠ / زاد المعاد ..!

- كان أول درس يُجتمَعُ له، وأبهى مجلسٍ يُحتفى به، ويقصده رهط من الشباب المهتمين والمتدينين تلك الفترة، ما بين ١٤١٤، الى ١٤٢٠ هـ تقريبًا، وقد امتن الله به وأزمعوا أن يكون بعد صلاة الفجر، ويمتد إلى السابعة والنصف تقريبًا وانطلق من جامع الملك عبد العزيز بحي الربوع أولًا، فمرورا بجامع أبي بكر، ثم انتهاء بمسجد التقوى في الضرس، قضينا فيه أمتع الأوقات وأروعها..!
- ولعله أول درس للعبد الفقير، وكان يحضّر له ويستعد، وتُعلق عليه حاشيةٌ مفيدة، وقد وصلوا فيه إلى المجلد

الثالث، ثم سُغل الطلاب النبلاء ، وُفُتحت عليهم حيوَاتٌ
جديدة ..!

■ وللعلم كتاب الزاد لابن القيم رحمه الله: فريد في بابه، لم
يصنف مثله على طريقته، متنوعٌ جامع الفوائد، جعله
كالمكتبة المنثورة في الفنون الشرعية، ينهلُ منه المسلم كيف
شاء، ويتعلم من طريقته وفقهه واستنباطه، وقد خدمه
محققوه بالتخريج والتوثيق ، واستدركت عليهم عشرات ، لا
تخل بمجموع الجهد في الجملة...

■ وكان تأليفه في حال السفر، وهو درسٌ لطلاب العلم، في
استنهاض الهمم، وشحذ العزمات، وطرح الكسل والنوم ،

والتعلم من أولئك الأئمة في استثمار الاوقات ، وقنص

الساعات ، وقد قلت في منظومة المذهبة قديماً :

صنّفه في ضنك الأسفارِ ** فجاء بالمفيدِ والأخبارِ

أقرأه بالغدو والآصالِ ** فإنه فردٌ بلا مثالِ

■ وفي قصيدةٍ قريبة :

والفجرُ ميعادُ الجلوسِ لروضنا ** زاد المعادِ وكم يزيدُ جمالا

لحنُ الشريعة في رياضِ صحافه ** ومداده نهرٌ يفيضُ زلالاً

ما أجملَ الزادَ المُنيفَ كأنه ** صرْحٌ يضمُّ منائرًا وظلالا

وكرعنا من فيضِ الجمالِ وهالنا ** زهرٌ أحنُّ بداخلٍ وأجالا

والصفوةُ الطلابُ كانوا بلسماً ** لرياضه ولكم أجادوا وصالا

لكنهم بعد الزواج تكدّروا ** وتواطؤا بونا لنا وكلالا

والله الموفق ...

١١ / أعراق متعارفة..!

■ من روعة المساجدِ جمعُها بين أعراقٍ مختلفة، وأجناسٍ متباينة فرقتهم الأشكالُ، وجمعهم الإسلامُ والقرآن... (لتعارفوا إنَّ اكرمكم عند الله أتقاكم ..). سورة الحجرات . ولذلك تغصُّ مساجدنا بالجاليات العربية، المحبين للصلاة والدرس والفائدة ، كالأخوة من اليمن ومصر والسودان والباكستان ...!

■ وأستذكرُ شابًا سودانيًا اسمه عثمان، لما رأنا نصلي بالناس، طلب أن يراجع ويصحح تلاوته كل عصر يوميًا ، فيأتيني بعد الصلاة .. يقرأ دقائق ويتم التصحيح، وكان شغوفًا بذلك اللقاء.. وسألته عن عمله.. فقال: خياط. فيجلس قليلًا ، ثم

يتوجه إلى دكانه...! وتلاوته حسنة طيبة لا ينقصه إلا

التجويد..

■ وتضايق مرةً لما عطلنا أحدُ الشيوخ، وقال: الشيخُ فلان أخذَ

حصتي اليوم... وضحك، فجلسنا يسيرا ثم انصرفنا..

■ وكان معنا أخٌ يماني يدعى طاهر، يجالسنا في الحلقة النورانية،

وتلاوته عالية الجودة، لولا شيءٌ يسير، وقد مكث معنا

سنوات طويلات، ثم تفرقت بنا السبلُ، ولا يُدرى ما

حاله...

■ وكان معنا شابٌ سوداني يصلي معنا، ومواظبٌ أشد

المواظبة في صلاة الفجر، رأته سنةً تقريباً، ثم اختفى..

وفوجئتُ مرةً، بشابٍ من جيزان سنة ١٤١٥ هـ تقريباً

وأُدرسه في الجامعة، يقول: يسلم عليك شاي سوداني اسمه
خالد فقلتُ: لا أعرفه فقال: هو يعرفكم وكان يصلي
معكم... فقلتُ: صفه فقال: سوداني شديد السمرة، وكيت
وكيت، ويعمل الآن في محطة...! فتذكرته على الحال،
وتلقيت سلامه بترحيب وسرور...! ولم يكن ثمة جوالات
للتواصل، والحمدُ لله على توفيقه، وعلى نعمةِ الايمان
التي جمعتنا بهؤلاء... والسلام...!

١٢ / سطح المسجد...!

- كانت محايلاً في زمن غابر بلا كهرباء ، والناس على مولدات كهربائية ، يملكونها أو يتاجرون بها، وفي أول دخول للكهرباء كانت ضعيفةً مهينة ، وقد عانينا في جامع الملك عبد العزيز رحمه الله، في "حي الربوع " حيث كان رمضان يأتي في وهج الصيف ، ورمضاء الحرارة الماحقة ، وذلك تقريباً سنة ١٤٠٤ هـ..! ومع ذلك كانت الحياة جميلةً، والتعامل بسيطاً.. وربما لأننا صغار، وصيامنا كان محدوداً..
- ونظراً لضعف الكهرباء وقلّة المكيفات، كنا نصعد على سطح الجامع العشاء والتراويح ، وكانت ليالي مائعة، وساعات ملتذّة...! يجتهد الجماعة والمؤذن بحمل الفرش

يوميا ، وكنا نساعدهم أحيانا ، ونجلس ننتظر مع أطفال الحارة...! وكان ليل تهامة جميلا عطرا ، برغم الحر الشديد ، وتشم منه نسيمات هادئة... ويحضرُ الاتريك قبل الكهرباء ثم ركبنا لمبتان لليل ، أو مصباح كهربائي ، وأحيانا ظلام مشوب بليال قمرية ...

■ وكان إمامنا أحيانا الشيخُ عليّ أبو سراح ، ويحمل المصحف ، وتلاوته رائعة مستقيمة ، وإذا تخلف الشيخُ الوالد أحمد بن سالم رحمه الله ، وهو معلم قديم ، وكان يركز على سورٍ معدودة منها " سورة الفتح " ، وأتذكر طريقته وحسه ونبضه ، وقد دخلنا الخمسين بحمد الله وتوفيقه هذه الأيام...!

- ويشدُّك طيابة الناس آنذاك ، وقلّة مشكلاتهم ، وحلاوة رمضان وروائحه المتشورة في الطرقات، وحرص الآباء على إسعادنا تلك الإيمانية ، بحيث تشرقُ الفرحات في كلّ مكان، والسعادة قد انتشرت كأنهار جارية تملأ الساحات،
ولله الحمد والمنة ...!

١٣ / التربية الأبهاوية...!

- مع عيشنا في محاليل على الدوام إلا أننا عشنا في "أبها حاضرة عسير"، مدةً ليست بقليلة، خالطنا فيها أهلها وعاشرناهم، ووجدناهم خير جارٍ ومؤنس، وتجرعنا شدة البرد وحلاوته، وأهل تهامة بسطاء لا يعرفون البرد ولا كيفية الاستعداد له.. وكنا نتعلم من الطلاب الكبار قبلنا، وتظهر طرائف ونكت لا حدود لها... وبردها ليس قاتلا في الجملة إذا لبست له عدته، وصيفها في غاية الجمال...
وكنتُ مدحتها في قصيدة:

أبها "البهاء وأبها كلُّ مُهتبلٍ * * إلى الجمالِ وعشقِ الوردِ والطللِ
يا قوم "أبها" بها نورٌ ومنسمة * * وطلُّ زهرٍ خفيفِ الحملِ مُختملِ

أكادُ أسبحُ في دنياها منجذباً ** إلى السناءِ وصوتِ البلبلِ الخَـضِلِ

■ وكنا نصلي ابتداءً في "حي الطَّبْجِيَّة" في جامع الشيخ عبد الله الشهري حفظه الله، أستاذنا وزميلنا بعد ذلك في القسم في الجامعة وكنت أرى رجلاً عجوزاً يعتني بحفيده تقريباً، ويغلط له في الصلاة والعناية بالسنن، ويخرج معه في صلاة الفجر...!

■ الولد لو رأتموه صغيراً، ربما لا يتجاوز العشر سنوات، ولكن الشايب الجد، لا يقر له قرار من توجيهاته كل يوم، فيرسلها شديدة مشفقة، حفيةً متينةً ومما سمعته: قم سنن ولا تروح واقرأ سبح اسم ربك الأعلى ...

■ والصبيُّ في غاية الأدب استماعاً وانصياعاً لوالده، وتعاين

عليه البراءة والامثال، ولا يكاد يتضجر أو يتغير وجهه مما

يعاني ..! وكنت أتعجبُ من حرص الجد ولطافة الابن ، وفي

الفجر يُلبسه ملابس الشتاء ، فيزينُ شكله وتطيبُ وقفته.

■ وتعلمنا من تلك التربية حُبهم للصلاة وعدم المحاباة ،

وحمل الأطفال عليها، والإخلاص في متابعتهم (وأمر أهلك

بالصلاة واصطبر عليها) سورة طه. ونعتب على الشدة

المبالغة تلك المدة، ولكنها كانت نمطَ حياة، وأسلوبَ عيش

لا انفكاك منه.. **والله الموفق .**

١٤ / رمضانيات جامع العنود □ !

■ رُزقت محايلاً جامعاً مباركاً بعد أداء جامع الفهد مدة عشر سنوات دورَ الريادة علماً وتوجيهاً وإدارة ... عُرف بجامع الأميرة العنود جزاهم الله خيراً ، ونفع بجهودهم . وتقلده بعض شبابنا وطلابنا كالشيخ حسن بن علي آل عامر حفظه الله...! وكلما كان همّة الإمام منتجةً أثمرت علوماً وخيرات ، وجهوداً ميمونة ...!

■ ولما كان محتاجاً إلى الدروس ، ودخل شهر رمضان سنة ١٤٣٣ هـ دعي العبد الفقير بكلمات قبل التراويح ، فكنا نستمتع بالروحانية الرمضانية ، والبهاء القرآني الأسر من قرائنا.. الشيخ حسن والشيخ عبدالله مانع حفظه الله، وتحضر

جموع غفيرة ، لروعة الجامع وروعة الأداء الشبابي
المبين...! فكم من جمالٍ وانتشاءٍ وتمعنٍ... تجتمع في وقتٍ
وما كنتَ سائلا...!

■ وشاركهم في ذلك بعض السنوات الشاب علي عامر، وماجد
الباكستاني وإبراهيم الطائفي، وعلي أحمد وغيرهم جزاهم
الله خيرا...! وكانت التمتعُ باهرة، وما أبهى عرضَ القرآن
على الناس بصوتٍ خصيبٍ مؤثر...! فيقومُ المتحدثُ أحيانا
بعد التراويح بعد تغذية قرآنية رقراقة ، ليعلقَ على آية قرآنية
منتزعة من تلاوة المشايخ...!

■ وكان لروعة أصواتهم ، الأثرُ عظيما ، ولبركة رمضان
الحضورُ جمعاً غفيرا ، ولمائدة القرآن المشهد خلافا ، انتفعنا

بها ولا زلنا نجد آثارها وبركاتها الى هذه الساعة، وتعرفنا
على محبين من جراء لقائنا في ليلة دون ليلة ، حيث كان يتجه
الليلة الأخرى لجامع الفهد، يُلقي درسًا عدلاً وإنصافاً ، ولئلا
ينزعجوا من ذهاب الخير كله ، **وتقبل الله من الجميع**
والسلام...! □

□ ١٥ / المعايدة المنعشة...!

- لتلاقي البشر في الأعياد جمالاً مؤنس، وسعادةً عجيبة...
وهذه المرة في "جامع الفهد بحي الضرس"، تسطع ليالي العيد، وتشرقُ النفوس بالابتهاج، فيعد بعض الفضلاء عُدته، ويقترح علينا لقاءً لا سيما في عيد الفطر، فتجتمع في مؤخرة الجامع سلامًا وتعييداً...! وقد كانت الفكرة من الأستاذ أحمد الأحمري حفظه الله، ونفذها والتزمها الأستاذ محمد محسن رحمه الله...!
- والحيُّ كبير... ويصعبُ زيارة الجميع في المنازل، فاستعوض عن ذلك بلقاء صباحي يجمع أناسي الحي وأطباقهم الفاخرة من العرائكِ والعصائد، يستمر إلى قرابة

الساعة ، وابتدئ الساعة أو الساعة والنصف ويصرُّ أبو

محسن على حضوري إذا اعتذرتُ بارتباط...

• وأظنه بدأ عام ١٤٢٥ هـ ولا يزال مستمرا إلى السنوات

الأخيرة ، لم تفصلهم عنه إلا وباء كورونا والحمدُ لله على

كل حال...!

• وكنتَ تلاقي في هذه المعايدة أنسًا روحياً ، وإسعادًا

اجتماعيًا ، وتوافقًا أخلاقيًا ، يزيل كثيرا من الشحناء،

ويدفع بالصلة والتفاهم ومكارم الأخلاق ..!

تعارفوا أطيبَ معرفةٍ ، وتواضعوا فيما بينهم ...! وكانوا

حِراسًا على دعوة العمالة في الحي ، وإلباسها شيئاً من

فرحة العيد ومتعته وطعمته ..! وحتى الذين لا يحضرون

أو لا يكاد يُعرفون ، عُرفوا من خلال هذا المجلس
التعايدي الخصيب، ومن خلاله أخصبت أخلاقهم ،
ولانت شمائلهم ... والسلام .

١٦ / ربما تختم كتباً...!

- من بركاتِ المكث في المساجد تلاوةُ القرآن ، وفهمُ الحياةِ والمحاسبة ، وختم كتب محددة ... وقد تيسر لكل ما كثر فيه ومعتكف حساناً ومحاسن ، ومبهجات ونفائس...!
- ويذكر أنه ربما وضع كتباً أو خزانة كتب تضم عشرات من المراجع المهمة لطلاب العلم...! فمثلاً كان يتمنى قراءتها وليس لها مجال في المنزل ... فيقوم بوضعها في المسجد ، ويقرأ بعد كل فريضة صفحات منها ، ومن ذلك كتاب "الآداب الشرعية لابن مفلح" رحمه الله . حتى أتى عليه...!

• فضبطه وفقه محتواه واستخرج منه درراً نادرة في الأخلاق وفقه الإمام أحمد، وزاد على ذلك أن فهرس فوائده في طرة الكتاب، فاغتبط بذلك..! وهذا إبان إمامته لمسجد التقوى بالضرس...!

• ولما كان مولعاً بالكتب وجمعها، اقترح على جماعة المسجد تأسيس مكتبة يستفيدون منها وأبناؤهم ، وبالفعل تعاضد معه بعض التجار كالشيخ محمد بن عبدالله فلقي أبو وليد ، جزاه الله خيراً، وكتب غالب المراجع الشرعية لطالب العلم . وأضيف عليها أشياء من بعض المحسنين وفقهم الله، وكانت سعادة غامرة، نتج عن ذلك كله تأسيس

أول مكتبة في مسجد في محايل سميت (مكتبة السنة).

ووضع لها أرفف مخصوصة ، والحمد لله على توفيقه.

• وقد كانت محل استقبال الشباب وعقد بعض الدروس

والقراءات الشبابية . وكل من زار المسجد شده ذلك

ودخلها متطلعا ومندھشا...! ولكنها كانت خطوةً مباركة

لتعليم الناس أهمية العلم والقراءة، وأن أول آية في ديننا

(اقرأ). وقد تراجعت مستويات القراءة في العالم الاسلامي

، للأسف الشديد، وكان لا بد من إحيائها من جديد عبر

المؤسسات التعليمية والشرعية.. **والله الموفق .**

١٧ / لصيق الإشراق...!

■ متواضعٌ قليل الكلام ، كثيرُ الصمت ، يصلي الفجرَ كل يوم معنا، ثم يمكث طويلاً ، إلى لحظات الإشراق ، يذكر الله ويسبح ويتأمل .. فيصلّي الركعتين المعهودتين ، ثم ينصرف... لا يكاد يترك هذا الإلف كل يوم ، منضبطاً، مواظب عليه...

■ وقد اندهشتُ من فعله، ونحن الشباب النشطاء نتكاسل في ذلك، وقد نتجاوزها بعض الأحيان...! ولكنه درّب نفسه على ذلك، واستحلى ذلك العمل، فبات لا يغادره مهما كانت الظروف ، وبرغم كبر عمره، لم يزل محافظاً عليه...!

■ ولا ارتيابَ أنه وجد لذتها، وأصاب بركتها ، وإلا لم ينقطع لها، لأن في الفجر سعادةً عامرة، ولذةً متناهية وانشراحاً فريداً، وقد قيل لبعض الحكماء: لماذا أنفاسُ الفجر صافيةً نقيةً..؟! فقال: لأنها خلت من أنفاس المنافقين ..! ولذلك لا يكاد يشهد لها منافق، بل إنها ثقيلة عليهم كما صحت بذلك الأحاديث..!

■ وكان ذلك في مسجد التقوى في حي الضرس ، ويدعى الوالد إبراهيم رحمه الله، وقد قضى نحبه ، وأظنه لم يتركها إلى وفاته ، ومن جرب حلاوة الجلسة الفجرية لا يغادرها وهنا فيها من أنوار السعادة والجمال... وقد قلتُ فيها:

ياجلسة الفجر عودي للنهي الظامئ ** *
وأشبعينا بأورادٍ وأنغامِ

إنّ الحياة نكادُ شقَّ جاحمها ** *
وليس تُطفأ إلا بابنِ أنسامِ

باع المشاغل والقرآنُ ديدنه ** *
وورده مزهرٌ في كل أيامِ

لا يهجر الذكر فالأعضاء تُنكره ** *
وتنكر اليوم كلَّ السخفِ والذامِ

القلبُ كالحوت لا يحيا بلا بحرٍ ** *
وبحرٌ قلبي في ذكرٍ وإسلامِ

من أسلم الروح للمولى يلاقي بها ** *
كلَّ الجمال وكل الطارف السامي

١٨ / العجوز المواظب..!

■ من حمامات المساجد ، يشدك بخلقه وحُسن تدينه ، وحبه

الصلوات والدروس ، يسمى عامر حفظه الله ، وقلبه عامرٌ

بالإيمان ومحبة الذكر والعلم، وغالبا ما يستفتي لدينه

ويحرص على الفقه في الدين ...!

■ لا يُرى إلا في الصف الأول ، متواضع الهيئة والشكل ،

وخاشع مخبت، محب لطلاب العلم، ويتقال عمره ومكانته،

ولا يبالي في السؤال والتفقه والجلوس معه مما يبهج الفؤاد ،

ويؤنس النفس ...!

■ وسبعيني العمر تقريبا ، ولكنه جاد ونشط في الطاعة، ومواكبه

الخيرات ، وخالطنا مدة ليست بالهينة في جامع الملك فهد

رحمه الله بالضرس فما رأينا منه إلا الشَّهد والطاب...!

وكلما جئت بعد ذلك شاهدته ، وشاهدت حضوره المبكر ،

وخلقه النادر...!

■ هؤلاء هم عمّار المساجد وسكانها الحقيقيون، ولا يمكن

للأئمة والخطباء نسيانهم أو تجاوز شمائلهم التي رسخت

في المساجد ، فأنبئت الزرع والزهر ، ونفائس الثمار ، وكان

لهم عقب ما يزال يمتد بحضورهم وبعيد وفاتهم ، جزاهم الله

خييراً، وتقبل منا ومنهم .

■ وهو الذي قال له مرةً بعد أن علق على مقطع باكستاني في

رمضان ، يفطر أصحابه على تيميس يابس ومشروب محدد ،

ونحن هذه الأيام سفر ممدودة ، وأنواع غير مدروكة... قال

: يا شيخ... نحن هنا قبل خمسين سنة، ونكدُ صيامًا في

المزارع نفطر على خبز شعير وشيء يؤدمه وقد لا يتوفر،

فالحمد لله، قد أسبغت علينا النعم هذه الأيام، ولا ندري

كيف نقابل الله بها.. **والله المستعان**..

□ ١٩ / الداعية المؤازر...!

- يصطفي الله بعض الدعاة بدور تثبتي إصلاحي عجيب ، بحيث يمرُّ على زملائه ومن دونه في المساجد يحادثهم ويعظهم الوعظَ الجميل ، ويتلمس أخبارهم كان ذاك قبل ثلاثين سنةً تقريباً ، في فترة الازدهار الدعوي الذي عشناه في بلادنا المباركة... ويذكر أنه هو مر بذلك.. فإذا عرضت لهم الصروف ، جاءه الشيخُ عبدالله بمددٍ من الخير، ورحيقٍ من الوعظِ والثبات ، ويتفاجأ أنه مر على فلان وفلان من الشباب... وبعد مدةٍ ، أدرك أن هذا الشيخ الحصيف كان من أسباب ثباتهم على دين الله، وعدم مغادرة سفينة الثبات...

■ وقد وهبه الله صوتاً حسناً صديحاً ، ومحبةً في قلوب الناس ،
وشهامةً يجودُّ بها على العامة وكبار السن...! فيمر للصلاة
والوعظ والتذكير، وقد أوتي وعظاً مرققاً ، قلما يتوفرُ في
كثير من الوعاظ ... إذ ليس الوعظُ صراخاً ، أو خرافات
وقصصاً مضعفاً، بل وعيٌّ ونباهة ، وجملٌ رقراق، يُعرفُ
خطأها وزمامها...

■ وكان لديه قدرةٌ على فك الشبهات ودحضها المنتشرة آنذاك،
وكذلك الإقناع بطرق الخير وجمع الحسنات، فمثلاً أول ما
فتح لنا في الخطابة ، كانت تأتيه الخطبُ من كل مكان،
فيلقيها في حَجَر الشباب الجدد ، ويورطهم فيها بطريقة
إقناعية عجيبة، بحيث لا يكاد ينهزم في مناظرة خيرية، وفقه
الله وسدده، والسلام .

□ ٢٠ رفقة مباركة...!

■ تديّنت فتعلّقت العلم، وتعشقت مصادره ، وذابت في ودّه،

فكانوا يجتمعون بعد الفجر في بعض المساجد حسب محل

سكنه، لا سيما جامع الملك عبد العزيز في حي الربوع ،

فيقرأون صفحات من القرآن ، ثم يشرعون في قراءة

كتاب... ويذكر انهم ختموا : "التبيان في آداب حملة القرآن

" للنووي رحمه الله، "وصفة صلاة النبي للألباني " رحمه

الله وكذلك للشيخ ابن باز رحمه الله، وبعض كتب السيرة

النبوية المتنوعة .

■ والمهم أنهم لا يخرجون من الجامع إلا بعد شروق الشمس

، وكان ذلك أواخر الأسبوع وأيام الإجازات ، وتعاضمت

تلك اللقاءات حتى انتهت بدرس " زاد المعاد " لابن القيم
رحمه الله، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك تقريبا هنا، أو في
كتاب آخر ...

■ وكان في ذلك اللقاء تناصحٌ وثبیت ، وتعاون وتعاقد، وما
رأنا فتى مستجد، أو شاب مستقيم إلا تمنى الانضمام لنا
ومشاركتنا تلك الحداثق الإيمانية... وكانت الإعلاناتُ
الرصينة شحيحةً بسبب ابتدائنا في الطلب، فجميعنا طلاب
جامعة، ولم نتضلعُ كثيرا في العلم الشرعي، ولكنها كانت
تسير بتوفيق الله ومعونته .

□ ٢١/ الصوت الحسن...!

■ لصوت القرآن تأثيرٌ عجيب ، ووقع أسر ، لو فقهه بعض الدعاة، لما قدموا إلا الأئمة الموهوبون في ذلك ، فقد طابت أصواتهم ، وحسنت حناجرهم ... وفي لحظاتٍ ما ، وأيام فترة الطفولة ، كان إذا غاب إمامنا ، يصلي بنا بعض الإخوة المصريين ، فكان وايمُ اللهُ صوته يحدث وقعاً في الحي ، ويسكن الجميعُ من روعة الصوت ، وأذكر منهم رجلاً يدعى الشيخَ رجب ، أرجو أن يكون بخير وسلامة..! وهذا مصداق حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام: (الصوتُ الحسنُ يزيد القرآن حسناً).

■ وهل تفقه أن أطفالاً يتوقفُ لعبهم إذا سمعوا ذلك الصوت الخاشع، الذي يذكرك بتأثيرات المشايخ المنشاوي وعبد الباسط رحمهما الله ... لقد كان منظرًا عجيبيًا ، ويظلُّ أطفال الحارة يتحدثون عنه وعن صوته، ويودون غياب الإمام الراتب، أو تقديمه على الدوام ...!

■ وهذا يفيدنا عظمَ تقديم الإسلام في أسلوب أخاذ، وعرض القرآن بالأصوات الحسنة ، وأن الدعوةَ جمالًا واصطفاءً، وليست تخبطًا وتخلفًا ، وأن اللهَ جميل يحب الجمال ... وكلما عُرض الإسلام في صورة حضارية غراء ، كان أدعى في قبوله وانتشاره.. **والله الموفق .**

□ ٢٢ / جامعة الأجناس...!

□

■ من جماليات المساجد في المملكة وبلاد الخليج غالبًا ،

جمعتها لأعراقٍ مختلفة ، وجنسيات متعددة، فتُلقي فيها

المصري واليمني ، والسوداني والشامي ، وكذلك البنغالي

والباكستاني ، وأحيانًا الإرتيري .. فتستشعر عظمة الإسلام ،

وكيف ألف بين هؤلاء ، وجمع بينهم... وكانت تتكون

علاقات وصدقات من جراء ذلك التلاقي اليومي...

■ فالمساجد جامعة الأعراق ، ومجمع الأحاب ، وملتقى

الخلان والأصدقاء ، وكان بعضهم يحضر معنا حلق القرآن

والعلم، ويتعرفون علينا، وقد حكى شيءٌ من ذلك آنفاً ، وفي

بعضهم تدين جذاب، وصوت حسن، وشهامة عجيبة..!

■ ويتكلم كثيرون عن مدى الخيرِ الرقراق هنا، وأن بلادهم ليست بذلك المجد الديني، ولا الدعوة الوهاجة، ففي المملكة دينٌ وصلاح، وعلمٌ واتساع، وبركة ونورانية، لا تكاد توجد في مكان آخر يشبهها...! فقد حبا الله بلادنا بقدسية الحرمين الشريفين، وقيادة حكيمة اتخذت من الإسلام منهجًا وحاكمًا، وعلماء بوركوا في أماكن كثيرة، وباتوا محل ثقة العالم أجمع، والحمد لله على كل إنعامه...
(وَأَتَيْكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم ٣٤]. أي وإن تتعرضوا لتعداد النعم التي أنعم الله تعالى بها عليكم إجمالاً فضلاً عن التفصيل لا تطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه،

ولا تقوموا بحصرها على حال من الأحوال. (إن الإنسان
لظلوم كفار) أي يغفل عن الشكر ، ويجحدُ أفضال الله عليه
، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: " اللهم اغفر
لي ظلمي وكفري، فقال قائل يا أمير المؤمنين هذا الظلم فما
بالكفر، ..؟! قال إن الإنسان لظلوم كفار " ، وقيل ظلوم في
الشدة يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع...! والله
الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

٢٣ / قرناء العلم □ !

■ وللعلمِ خلانٌ وأحبابٌ، يؤثرونه على الطعام والشراب،

ويذوبون في المساجدِ شوقاً وحباً وعكوفاً...! وقد اجتمع بنا

زمرَةٌ منهم "كطلاب زاد المعاد" وتم ذكرهم... (حسن أو

الحسنان وعمر وعبدالله وأحمد، وسعد..) وعمداً هنا

أخفيت أنسابهم لحاجة ما...! ثم شباب الهلالية في مسجد

التقوى ومن خلال " اللؤلؤ والمرجان " ..!

■ وقبلهم شابٌ من خارج محايل يدعى عبدالله عسيري، كان

محباً للحديث وقرأ مدةً، وآخران من مجاردة جادان كلَّ

خميس في شرح ابن دقيق لعمدة الأحكام...! ثم حسام

وحسن في "شرح الأربعين وحلية طالب العلم".

■ وكان الشغفُ بالعلم يخالطهم جدًّا، وفي هذا دليلٌ على صحة التربية العلمية من الصغر للشباب، وأن صرفهم إلى العلم ومناثره خير من دعوات ومجالس خاوية، يحشد لها كل الطاقات بلا فرز، فتتنامى المنطقة وليس لها أئمة ولا خطباء، فتتكشفُ عوراء أيام الحوالك...! ولا تلقى مَنْ ينورها أو يستتقذها، فتتعاظم الجهالات وهم لا يشعرون، وما أحلى مقولة ابن القيم رحمه الله: (الجهل شجرة تنبت منها كل الشرور؛ وأعظم الشرور أن يجهل الإنسان نفسه وحقيقته وما حباه الله إياه..).

■ وقد حُورِبَ العلمُ أو هُمِّشَ في بعض البيئات الدعوية فنتج عن ذلك الزهد فيه، وتغيير التربية، وقلّة الحفاظ والمقبلين

عليه، وضيف الأفق، والسخرية من حملته، وشح الدعاة

والخطباء لتغطية الجوامع وسد فُرُجاتها ، **والله المستعان .**

٢٤ / عبق حي الوردتين ...!

■ في بعض البيئات بركاتٌ ملونة، وخيراتٌ عابقة ، ولم تكن إقامتنا في أبها ضرباً من العبث، وهم يطالعون نشاط مساجدها المباركة ، وكثرة دروسها، ويقظة مشيختها، وقد حظوا بمجاورة الشيخ الداعية الشهم أحمد الضبعان حفظه الله ، لثلاث سنين تقريباً..! وكان في مسجدهم الصغير كلمة كل أسبوعين ، يحضرها الجميع، وقد رباهم الشيخُ على ذلك...

■ وكان من واجب إمام المسجد التنسيق كل أسبوع لمثل هذا اللقاء، . فنشاهد دعاةً أبها من كل الطبقات ، يتحدثون وعازماً ومفيدة، ونستمتع بذلك في موعدها المرتقب .. وقد

ورطهم الشيخُ في بعض ذلك ، ربما حُكي في (الذاكرة

الدعوية) .

■ وكان للمسجدِ ثلاثُ لمساتٍ عابقة: لمسة الشيخِ وتوجيهه،

ونباهة الأئمة، وائتلاف الحي واتفاقهم، وكان للشيخ صالح

العبيدي رحمه الله دورٌ بارز ، والشيخ محمد قريهه، وكذلك

الشيخ محمد بن فايع حفظه الله ونخبة ، نسيت أسماءهم

الآن ، جزاهم الله خيراً... .

■ وكنا طلاباً آنذاك ، ولكن رسخت توجيهاتهم ومعالمهم

الرائعة في الأذهان، ولا ننسى احتضان الشيخ أحمد لذلك

المشروع الدعوي والاجتماعي .. فلديهم لقاء كل

أسبوعين، ومناسبات متعددة، وصور من الكرم نادرة،

يتزعمها الشيخُ بسعة حُلقة و صدره وبيته، وذلك من فضل الله

على بعض عباده.. والله الموفق .

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه ، نسأل الله

القبول وحسن الانتفاع ، إنه خير مسؤل ،

وأكرم مأمول ، والله الموفق .